15em Année No. 728

Lundi — 16 — 6 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٢٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٧ رجب سنة ١٣٦٦ — ١٦ يونية سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

أســـد إفريقيـــة

للأستاذ محمود محمد شاكر

إلى أسد إفريقية الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابى .

السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبعد :

ملأت فضائلك البلاد ، ونقبت

فى الأرض ، يقذفها الخبير إلى العَمِى

فكأن مجدك بارق فى مزنة ... قِبَل العيون ، وغرة فى أدهم

واليوم مقذ للعيون بنقعه ... لا يهتدى فيه البنان إلى الفم

لم يبق غير شفافة من شمسه ... كمضيق وجه الفارس المتلثم

فأنت ، أبقاك الله ومتعك بالعافية ، قد كنت فى تاريخ العرب الحديث نفحة علوية من مجد آبائنا الغراميامين ، وكنت فى ضمير كل عربى صدى للأمانى البعيدة التى لا تزال ترددها دماؤنا فى أبداننا العربية الحية ، وكنت قبساً من فضائل أسلافنا يحدث عن نفسه بلسان عربى مبين ، وكنت برهاناً جديداً لأهل البغى على أن العربى لا يذل أبداً ولا ينام على الضيم يراد به . ثم كتب الله لك بعد عشرين سنة من الأسر أن تعود كما كنت عربياً حراً حمى الأنف ذكى الفؤاد ، تأنف لأمتك وعشيرتك أن يروا ميسم ذلهم وهوانهم على جبين أكرمه الله بالنصر مرة ، وامتحنه بالأسر تارة أخرى . فعش فى حمى مصر أيها الرجل أميراً على قلوب مليون نسمة من العرب وأربعمئة مليون من المسلمين ، وجزاك الله عما قدمت للعرب أكرم جزاء وأوفاه .

***

كنت يومئذ فى العقد الثانى من عمرى شاباً ينبض بين جنبيه قلب يتلفت إلى مجد آبائه ويحن إلى تاريخهم حنيناً طويلا كأنه لوعة ثكلى على وحيدها ، وكانت مصر كلها لا تزال ترسل الصرخة إثر الصرخة طالبة أن تنال فى الحياة حريتها التى استلبها البغاة الطغاة شياطين الأرض ، وكانت الدماء فى أبداننا تريد أن تطفئ ظمأ الأرض المصرية بما يجرى على ظهرها من دماء الشهداء حتى تمحو عار الاحتلال عن هذه الأرض المطهرة ، ولكن زعماءنا أبوا إلا السلم وطمعوا أن ننال حقنا بالمفاوضة ، أى بخديعة الغاصب حتى ينخدع لنا فيترك لنا ما سلب .

ثم أصبحنا يوماً فإذا بنا نسمع عن « أسد الريف » الذى هب من غابه ونفض نواحيه وزمجر واجتمع للوثبة ، وإذا هو يضرب يميناً وشمالا لا يدع للأسبان متنفساً حتى اضطرهم إلى أفسح مواطن الذل تحت قدميه ، وأوردهم شرائع العار شلا وطرداً حتى سجدت له تلك الجباه المتغطرسة فى حمأة من الصراعة والذل . كانوا يريدون أن يسوموا أهل مراكش أن يسجدوا لهم فى مثلها ، فأبيت إلا أن تعرفهم أقدارهم تحت هاتين القدمين الطاهرتين النبيلتين ، فأتم لك الله النصر عليهم كما شاء .

ثم أراد الله أن يعرفنا ويعرفك أن أنذل من النذل ناصره على نذالته ، فهبت إليك تلك الدولة الأخرى المعروفة باسم فرنسا، وهى يومئذ ثانية أمم الأرض فأبت عليك جيوشها وجحافلها « وبيتانها » ؛ وفزعوا إلى نصرة الأسبان المهزومين ، وظلوا يستجيشون عليك ، أنت الضعيف الفرد ، كل ما آتاهم الله من بسطة فى العلم وقوة فى البأس ، حتى غلبوك على أمرك ، ثم خدعوك ، ثم غدروا بك ، ثم نفوك على عادتهم من فساد الطوية وحقارة الفعل . فأصبح كل عربى على ظهر الأرض يحس أنه الأسير المنفى المغدور به ، وانطوت قلوبنا على بغض لا ينام لهذه الأمم التى لا شرف لها ولا ذمة ولا عهد .

ثم تقضت الأعوام وشارفتْ الأربعين ، وإذا أنت حر طليق فى أرضى وبلادى . فما كدت أسمع ذلك حتى انطوت أيامى وعدت كما كنت فى نحو العشرين ، شاباً يحس دماءه تغلى لهذا النبأ كأننى انطلقت من الأسر وخرجت من النفى لأعيش حراً طليقاً كما تعيش أنت اليوم فى مصر . ومصر هى أم المروءات ، فإن ساء ذلك فرنسا أم الغدر والخيانة ، فإننا لن نفارق أخلاقنا وأخلاق آبائنا لكى نعينها على آثامها ومساوئها ، بل سنرد عليها بغيها مهما لقينا فى ذلك من سوء أخلاقها وقبح فعالها .

ونحن لا نعلم علماً يقيناً ماذا فعلت بك هذه الأمة الحريصة على ابتذال عرضها بين الأمم ، أيام كنت فى منفاها ، ولكن كفانا طول الاستقصاء أن نعلم أنها حرمت على تلك الألسنة العربية الصغيرة فى أبنائك أن تعرف منطق آبائها وأسلافها ، فقد اضطرتها بجبروتها وقسوتها أن تتجافى عن الكلمة العربية التى تمثل للعربى أمجاد أمته فى ألفاظ من نور هذه اللغة الشريفة . وسيقولون إنك أنت الذى أردت لأبنائك أن ينشأوا على ذلك اللسان الفرنسى ، ولكن كذبوا فما من عربى يطيق أن يدع أبناءه الأحرار فى أسر أمة أخرى غير اللغة الحرة التى عاش عليها آباؤهم وأجدادهم . ولست أشك فى أنهم قد اتخذوا لذلك كل وسيلة حتى لم يدعوا لك حيلة تدفع بها عن قلبك حسرة الأب العربى وهو يرى أبناءه ينشأون غرباء عن لسان أمهاتهم اللائى أرضعنهم بدَرّ عربى حر آب للضيم طالب للعزة والشرف والنبل .

وقد أراد الله غير ما أرادوا ، فها أنت اليوم بين أهلك وعشيرتك من أهل مصر ، وهؤلاء أبناؤك هم أهلنا وإخوتنا ، وهذه مصر بلادهم لهم فيها ما لنا ، فمن قليل يهدم اللسان العربى ذلك اللسان الفرنسى ، ويرتد العربى عربياً كما أراد الله له أن يكون ، كما ردك الله حراً كما أراد لك أن تكون . وأما فرنسا فقد رد الله غيظها فى صدرها حتى يأكل منها ما بقى مما تستطيل به على الناس .

* * *

لا تأس أيها الرجل على ما فات ، فإن فى الذى لقيه الناس من بعدك لعزاء لك عما لقيت فى منفاك ، وإن الذى أنت فيه اليوم لهو نعمة من الله بها عليك لتحمل مرة أخرى سيف الجهاد فى سبيله وفى سبيل أمته التى أزلت بها فرنسا من بطشها ومظالمها ما لا قبل لأحد بالصبر على مثله . وقد ردك الله إليها لترى رأى العين ماذا فعل بعدك هؤلاء القوم بقومك ، ولتشهد مصارع الأحرار من أنصارك ، ولتملأ قلبك من القوة التى تفل الحديد وتسف الجبال وتجتاح الجيوش — قوة الإيمان بالله الذى لا يخذل من نصره ونصر أولياءه بالحق فى يوم الجهاد .

إن فرنسا لم تدع فى تونس والجزائر ومراكش مكاناً إلا نفثت فيه من سمها ، أو ضربت فيه بإبرتها ، أو تدسست إليه بغدرها وجهالتها . إنها أمة لم ترع ذمة للانسانية ولا للمروءة ولا للشرف ولا لشىء مما يصير به الإنسان حياً متميزاً من سائر الوحوش والضوارى — أمة تفترى على الناس افتراء مقيتاً ثم تتبجح على الناس باسم الحرية والإخاء والمساواة ، أمة من الأذلاء لم يكد الغازى يغزو بلادها فى الحرب الماضية حتى ألقت سلاحها وسجدت على مواطىء قدميه تمسح عنهما غبار الغزو ضارعة متذللة ، أمة لم تأنف آلاف مؤلفة من أبنائها أن تطلب التجنس بالجنسية الألمانية يوم أصابتها هزيمة واحدة فى أول حرب تهزم فيها ، ولم تستنكف نساؤها أن تفتح الأغلاق للغزاة غير متورعات ولا كريمات .

إننا أيها الأمير نبغض هذه الأمة كأشد ما يبغضها دمك الذى يجرى فى عروقك ، لأننا إخوة جمعتنا رحم واحدة هى المروءة ؛ ونحن لا نخصها وحدها بهذا البغض ، بل نبغض كل أمة على غرارها قد استحلت مرعى البطش واستطابت ثمار البغى والعدوان .